Majallah Al-Qism Al-Arabi
University of the Punjab,
Lahore - Pakistan.
No.18, Issue: 2011

مجلة القسم العربي
جامعة بنجاب، لاهور–باكستان.
العدد الثامن عشر، 2011م.

أهمية تدريس العلوم الإسلامية باللغة العربية

د. عبد الكريم عوض هيازع
دار السلام ، بروناي.

ABSTRACT

In the present paper emphasis is laid on the importance of teaching Islamic Studies by the only means of Arabic language for the following reasons:

1. a. The close association between Arabic and Al-Qur'aan where knowledge in Arabic is indispensable for understanding the sacred text and its significance.
   b. The close association between Arabic, Al-Qur'an and Islamic Studies.
2. The importance of methodological and cognitive procedures of Islamic Scholars in particular the methodology of Arab Muslim Scholars - in studying different Islamic sciences using Arabic as the only medium to achieve that means.

تمهيد:

فقد أرسل الله رسوله بالهدى، ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، وأنزل عليه ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1] ففتح به قلوبًا غلفًا، وأعينًا عميًا، وآذانًا صمًا ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[2].

فهو مادة الإسلام الأولى، ومعينه الأصيل، (لا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه)[3] ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[4].

فالقرآن الكريم نزل بلسان عربيٍّ مبين، وجاء بأساليبه البيانية ونظمه البديع، وبلاغته العظيمة، حيث أعجز أقحاح العرب عن محاكاته، أو مضاهاته، فكان حقًا على من أراد تفهم معانيه، وإدراك مراميه، أن يكون على جانب كبير من التمكن من اللغة العربية، وإلاَّ لا يقدر على شئ من ذلك[5] ففاقد الشيء لا يعطيه.

ومعلوم قول شيخ الإسلام إبن تيمية: والعلم، إما نقلٌ مصدقٌ عن معصوم، وإما قول عليه دليل معلوم، وما سوى هذا فإما مزيف مردود، وإما موقوف، لا يعلم أنه بهرج ولا منقود[6]، والقرآن الكريم نقل مصدق عن معصوم، ودليل لقول الحق معلوم، ولكن كيف يفهم هذا ؟ وبأى لسان يعلم ؟ إنه اللسان العربي، واللغة التي وسعته، وقد استنطقها حافظ إبراهيم قائلة:

وسعت كتاب الله لفظًا وغايةً وما ضقت عن آيٍ به وعظات.

فما دامت اللغة العربية قد وسعت كتاب الله، بأعلى درجات الفصاحة، والبلاغة، حتى أعجز أهل اللسان، فيثبت ضرورة ألا يفهمه إلا من يعرف العربية معرفة تمكنه من فهم دقائق معانيه[7]. وما دام القرآن الكريم هو مادة الإسلام الأولى، ومعينه الذى لا ينضب، نعلم ضرورة أهمية هذه اللغة فى علوم الإسلام، حتى لا نخرج عن الخط الذى رسمه القرآن، والغاية التى يهدف إليها، وبيان ذلك من خلال، إطار عامٍ هو: (أهمية تدريس الدراسات الإسلامية باللغة العربية دون سواها)، وخطة تتضمن النقاط التالية :

المبحث الأول : الأهمية التلازمية. وتشمل المطالب الآتية:

المطلب الأول: التلازم بين اللغة العربية والقرآن الكريم، والتلازم هنا يتضح من خلال ثلاثة جوانب:

أ – جانب القرآنية.

ب- جانب الفهم لمعاني القرآن الكريم.

ج- جانب عالمية دعوة القرآن.

المطلب الثانى : التلازم بين الدراسات الإسلامية والقرآن الكريم.

المطلب الثالث : التلازم بين اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

المبحث الثانى : الأهمية المنهجية والمعرفية.

وإيضاح ذلك فى مطلبين:

المطلب الأول: منهج العلماء المسلمين الأعاجم (غير العرب) فى المعارف الإسلامية المختلفة.

المطلب الثانى : المنهجية التطبيقية اللغوية.

الخاتمة.

المبحث الأول

الأهمية التلازمية.

وتشمل ثلاثة مطالب هى:

المطلب الأول : التلازم بين اللغة العربية والقرآن الكريم.

حين نتحدث عن اللغة العربية نعلم أنها القالب الذى وسع القرآن الكريم، وحين نقرأ القرآن الكريم نرى أنه بمثابة الروح لهذه اللغة، فهما كالروح والجسد، إذ التلازم بينهما أمر محقق لا مفر منه. وبيانًا لهذا التلازم، وتنسيقًا للبحث فيه، أرى أن جوانب التلازم هنا ثلاثة هى:

أ – جانب القرآنية.

أثناء تلاوتنا لكتاب الله عز وجل، نجد آيات كثيرة تصف القرآن بأنه عربى، وأنه تعالى أنزله بلسان عربى مبين، إظهارًا للغة القرآن الكريم، وتأكيدًا على التلازم التام بينه وبين اللغة العربية،منها:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[8]

﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّه مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ﴾[9]

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[10]

﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾[11]

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ .عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنـذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[12]

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[13]

﴿ قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[14]

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[15]

فهو قرآن، وهو عربى، لا انفكاك بين قرآنيته وعربيته، إذ لو انفكت عربيته بالترجمة لم يعد قرآنا، كما لو انفكت قرآنيته بالتفسير العربى لا يسمى قرآنًا أيضًا. وما أروع تعبير الدكتور مازن المبارك فى ذلك حيث يقول : هل عرف العالم إسلامًا بلا قرآن؟ وهل عرف العالم قرآنًا بغيرالعربية؟ إن ارتباط كتاب مقدس بلغة بعينها - كارتباط القرآن باللغة العربية - أمر لم نعرفه لغير هذا الدين، ولغير تلك اللغة. وإذا كان غير القرآن من الكتب المقدسة - كالإنجيل مثلاً - قد ترجم إلى لغات كثيرة، وبقى على ما هو عليه من كونه كتابًا تعبديًا مقدسًا، فإن القرآن قرآن بلفظه ونصه[16] وهو معنى قول الرازى : فى ذلك أن القرآن العربى كما أنه تطلب قراءته لمعناه، كذلك تطلب قراءته لأجل لفظه[17]- ويضيف الدكتور مازن المبارك، وإذا كانت لدى غير المسلمين صلوات تتلى بغير لغة الكتاب المقدس، فإن الحكم الشرعى فى الإسلام، أنه لا صلاة بغير اللفظ العربى للقرآن، ثم خلص إلى القول بأن الارتباط بين العربية والقرآن أمر واقع وفرض مقرر[18].

ب – جانب الفهم لمعانى القرآن الكريم.

المعنى الحقيقي للمفهوم الإسلامي، لا يتحقق إلا على ضوء ما قرره علماء الأمة فى الأصول والتفسير وغيرها، من أن المفسر والمجتهد لا بد أن يكون على علم ومعرفة بلغة العرب، إذ لا يفهم القرآن بغير تلك اللغة، لأن الحكم على الشئ فرع عن تصوره، فلا يتم الفهم للقرآن إلا بالتصور الكامل لمعانيه باللسان الذى نزل فيه.

لذا نلاحظ أن علماءنا يركزون على هذا الجانب حتى لا يبعد الإنسان عن المعنى الحقيقى للمفهوم الإسلامي، أو المصطلح القرآني. فهذا الزركشي يقول : إنما يَفْهَمُ بعضَ معانيه، ويطلعُ على أسراره ومبانيه من قوي نظره، واتسع مجاله فى الفكر وتدبره، وامتد باعه، ورقت طباعه، وامتد فى فنون الأدب، وأحاط بلغة العرب[19].

وأخرج أبو عبيد عن يحى بن عتيق قال: قلت للحسن : يا أبا سعيد، الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق، ويقيم قراءته بها، قال : حسن يا ابن أخى فتعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية، فيعْي بوجهها، (يعجزعن فهم المراد منها) فيهلك فيها[20].

وقال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عارفًا بلغات العرب[21].

وروى البيهقى فى الشعب عن مالك رضي الله عنه أنه قال:لا أُوتى برجل غير عالم بلغة العرب، يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً[22]. وقمة الصراحة فى هذا الأمر نجدها عند الشاطبى، حيث يقول: من أراد تفهم القرآن فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة[23]. وقد اتضح ذلك على لسان محمد عبده حيث قال: فهم كتاب الله تعالى يأتى بمعرفة ذوق اللغة، وذلك بممارسة الكلام البليغ منها[24].

ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل نجد شيخ الإسلام ابن تيمية يرتفع باللغة العربية فيجعلها شعار الإسلام، ويقرر كراهة اعتياد الخطاب بغيرها، كونه يبعد عن ممارسة اللغة، مما يترتب عليه ضعف الفهم لكلام الله، فيقول: وأما اعتياد الخطاب بغير العربية – التى هى شعار الإسلام ولغة القرآن – حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله،

ولأهل الدار، وللرجل مع صاحبه، ولأهل السوق، أو للأمراء، أو لأهل الديوان، أو لأهل الفقه، فلا ريب أن هذا مكروه[25] ويضيف: وأيضًا فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها، فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[26].

يلاحظ أن ابن تيمية أعطى حكمين فى عبارتيه السابقتين خلاصتهما أن تعلم اللغة العربية فرض واجب لفهم الكتاب والسنة ... ومن تعلمها يكره له اعتياد الخطاب بغيرها.

ج – جانب عالمية دعوة القرآن.

عرفنا فيما سبق كيف كان التركيز على التلازم بين عربية القرآن، وقرآنيته مما تمخض عنه تكرار الإشادة بهذا اللسان، والإرتفاع به، حتى اعتبره ابن تيمية شعار الإسلام، ومع هذا نجده فى الجانب الآخر يصرح بعالمية دعوته، رفضًا للتمييز العنصرى، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[27] وقال أيضا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[28]. مما يدعو للتساؤل: هل هناك تعارض بين هذين الجانبين؟ وكيف يمكن التوفيق بينهما؟.

ما من ريب أن تنزيل القرآن باللسان العربى كان يوحى إلى العرب بكثير من الاعتزاز والفخر، كما يوحى إلى غيرهم بكثير من التوقير والتكريم، لكل ما هو عربى، لسانًا وبيانًا، وحسبًا وتحتدًا، وموقعًا ومولدًا، ولا سيما حين يقرن القرآن اللسان العربى بصفة البيان، أو يقول ﴿ غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾[29] ايماءً إلى صفاء هذا اللسان[30] وعالميته، إذ القرآن دعامة الوحدة بين العروبة والإسلام[31].

هذا وإن استهلال بعض سور القرآن الكريم بالحروف المقطعة، يشير إلى أمرين هامين: أحدهما: بيان موطن الإعجاز فى القرآن الكريم، إذ يظهر فيه جانب التحدى

لأقحاح العرب، وفرسان البلاغة والفصاحة، للإتيان بمثله، وعجزهم الواضح عن ذلك. والثانى: بيان أن هذا لقرآن الذى هو عالمى الدعوة، لا يسعه إلا هذه الحروف، التى يتكون منها الكلام العربى، مما يعنى أن اللغة العربية لغة عالمية، غير مقتصرة على الناطقين بها، تبعًا لعالمية دعوة القرآن.

كما أنها ضرورية لدراسة لغات، وثقافات عالمية مختلفة، كالإسبانية، والأردية، والماليزية، والإندونيسية، والتركية، والفارسية وغيرها، إذ دخلت كلمات عربية كثيرة فى لغات عديدة إسلامية وغير إسلامية[32].

إضافة إلى ما ذكرناه آنفًا من كلام ابن تيمية، من وجوب تعلم اللغة العربية بالنسبة للمسلمين جميعًا، واستنادًا إلى قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[33] والذى يتضمن أمرًا بتعلم اللغة العربية، لأن التدبر هو الفهم، ولا يكون إلا بمعرفة العربية، وذلك يتطلب بالطبع متابعتها ودراستها[34] والتدبر مطلوب من الجميع، ، والفهم هدف لابد أن يحققه جميع المسلمين، فوحدة الفهم عامل مساعد لتوحيد الأمة، وهو هدف عالمى، يشير إلى عالمية اللغة العربية، يقول ابن تيمية: لم يكن سبيل إلى ضبط الدين، ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، وصارت معرفته من الدين[35]. وما دام الدين عالميًا فاللسان عالمى أيضًا.

وخلاصة الأمر أن مثل اللغة العربية بالنسبة للقرآن الكريم كمثل وعاء زجاجى سكب فيه ماءٌ، فكان يرى من خلاله وضوحًا وبهجة وجمالاً بحيث لو وضع في إناء غير زجاجى لاتّسم بالغموض وعدم الوضوح، والله يقول: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[36] فبفهم اللغة العربية يزداد القرآن يسرًا، ويزداد وضوحًا لمتدبره، وبغير معرفة اللغة يبقى غامضًا ويزداد غموضًا.

المطلب الثانى : التلازم بين الدراسات الإسلامية والقرآن الكريم.

قال ابن تيمية: ولهذا كان الذين تناولوا العلم والإيمان من أبناء فارس، إنما حصل ذلك بمتابعتهم للدين الحنيف بلوازمه من العربية وغيرها[37].

فحصول العلم والإيمان لدى هؤلاء انما كان بمتابعتهم للدين بلوازمه العربية وغيرها، حيث كانوا يعتمدون الحديث (من يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين)[38]. والدراسات الإسلامية بجوانبها المختلفة هى عنوان الفقه فى الدين، بل هى فقه القرآن، حيث هو المنطلق الرئيس للدراسات الإسلامية، وهو المادة الأولى لها، كما أنه معينها الذى لا ينضب، (فلا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه)[39]. فالعلوم الإسلامية ما هى إلا خادمة له، بتبيين مجمله، وتوضيح غامضه ومبهمه، وشرح معناه، وبيان الأحكام المرادة للمكلف منه، وكيفية الوصول إليها، فهى لا تخرج عن معينه، بل هى من مشكاته المضيئة، وكل منها ينتهض لإيضاح القرآن، وإدراك معانيه، والوصول إلى مكنوناته، والغوص لاستخراج لآلئه، وبيان غاياته وأهدافه.

فأصول الفقه مثلا علم يبحث من خلاله فى ألفاظ القرآن والسنة، كأدلة على الأحكام الشرعية، وكيفية دلالتها على تلك الأحكام، وكيفية التوفيق بين ما ظاهره التعارض بين بعض آياته، والبعض الآخر، أو بين بعض آياته وبين بعض الأحاديث، ثم البحث فى روحه ومعقوله، للوصول إلى ما لم يرد فيه نص يبين حكمه.

أما البحث فى الفقه فهو بحث لمعرفة الأحكام الشرعية المرادة من المكلف على ضوء الدليل الشرعى التفصيلى، وأساس ذلك هو القرآن الكريم.

وأما البحث فى العقيدة والكلام فهو بحث فى الأحكام العقدية التى قررها الله وأوجب علينا الإيمان بها من خلال كتابه.

كما أن البحث فى علوم القرآن بحث فيما يتعلق بالقرآن نزولاً وجمعًا وترتيبًا وتلاوةً وتنزلاً وغير ذلك مما يبحث فيه فى هذا العلم.

والتفسير يتعلق بمعانى القرآن الكريم، وفهم آياته، وإيضاح ما يتطلبه العمل بها، (فمن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم)[40]. ناهيك عن السنة وعلومها فإن البحث فيها لا يخرج عن البحث فى القرآن الكريم، إذ السنة مبينة وشارحة له، قال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ

لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[41]. ولا تعدو السنة أن تكون متضمنة فى آية واحدة من بحره الزاخر وهى قوله تعالى

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[42].

وعلوم السنة المتكاثرة من علم مصطلح الحديث إلى علم الرجال إلى علم الجرح والتعديل إلى غير ذلك مما يبحث تحت علوم السنة، فهو وسائل للوصول إلى معرفة صحيح السنة من سقيمها، وما كان منها حديثًا عن النبى صلى الله عليه وسلم أو لم يكن.

فالقرآن الكريم هو المصدر الأصلى للشريعة، وهو المادة الأولى والأساس للدراسات الإسلامية، وما العلوم الإسلامية إلا خادمة للقرآن الكريم قال الشاطبى: إن الكتاب قد تقرر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشئ يخالفه. وهذا لا يحتاج إلى تقرير واستدلال، لأنه معلوم من دين الأمة، وإذا كان كذلك، لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة، وطمع فى إدراك مقاصدها، واللحاق بأهلها، أن يتخذه سميره وأنيسه، ويجعله جليسه على مر الأيام والليالى، نظرًا وعملاً، لا اقتصارًا على أحدهما.[43]

المطلب الثالث : التلازم بين اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

فيما سبق تبين لنا مدى التلازم بين اللغة العربية والقرآن الكريم وأن مثلها كمثل الروح والجسد، وعرفنا أنه لا انفكاك بين قرآنية القرآن وعربيته، حتى كانت العربية شعار الإسلام وأهله، الذى قرره ابن تيمية فى أكثر من موطن.[44]

واتضح لنا أيضًا مدى التلازم بين القرآن الكريم من جانب، والدراسات الإسلامية من جانب آخر، فكانت النتيجة التى تثبت أن العلوم الإسلامية، ما هى إلا خادمة للقرآن الكريم.

وبناءً عليه، يتضح لنا أن التلازم مادام فرضًا مقررًا بين القرآن واللغة العربية، وبين القرآن والدراسات الإسلامية، فالنتيجة الحتمية هى: أن التلازم بين اللغة العربية والدراسات الإسلامية أمر مقرر أيضًا.

وهو ما يعنيه قول عمر رضى الله عنه حين كتب إلى أبى موسى الإشعرى: أما بعد، فتفقهوا فى السنة، وتفقهوا فى العربية، وأعربوا القرآن، فإنه عربى، وفى حديث عنه رضى الله عنه: (تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم) قال ابن تيمية تعقيبًا على هذين الحديثين: وهذا الذى أمر به عمر رضى الله عنه، من فقه العربية، وفقه الشريعة، يجمع ما يحتاج إليه، لأن الدين فيه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو الطريق إلى فقه أعماله[45] ومنه ما قرره سابقًا من أن الذين تناولوا العلم من العجم من أبناء فارس إنما حصل ذلك بمتابعتهم للدين الحنيف بلوازمه من العربية وغيرها.[46] وليس أدلَّ على ذلك من كلمة الشاطبى رحمه الله حين قال: إن هذه الشريعة المباركة عربية لا مدخل فيها للألسن العجمية.[47]

أما ابن خلدون فقد صرح بذلك بقوله : الفصل السادس والثلاثون فى علوم اللسان العربى، أركانه أربعة، وهى : اللغة والنحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ ماخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهى بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغاتهم، فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة[48] والزركشى يطلب التعمق فى ذلك بقوله : ولا يكفى اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركا، وهو يعلم أحد المعنيين.[49]

وعليه فإننا نجد اتفاق علماء الأصول على ضرورة أن يكون المجتهد عالما بلغة العرب، حتى يصل إلى درجة الاجتهاد فيها، بحيث يضاهى فى فهمها العربى، وهو شأن علماء التفسير، وأى علم من علوم الدراسات الإسلامية.

المبحث الثانى

الأهمية المنهجية والمعرفية.

الحديث فى المبحث الأول تمخض عن نتيجة واضحة، وهى ضرورة العلم باللغة العربية لأهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهما بلغة العرب، ونقلتها من العرب، فكانت نتيجة نظرية.

أما هذا المبحث فأرى - والله أعلم - أنه يشبه أن يكون جانبًا عمليًا تطبيقيًا للنتيجة السابقة، كما يشبه أن يكون نتيجة للمبحث السابق.

فهما متعاضدان، لبيان (أهمية تدريس الدراسات الإسلامية باللغة العربية دون سواها) وإن نتج أحدهما عن الآخر. وسنلاحظ خلال هذا المبحث، قيمة اللغة العربية، ومكانتها لدى العلماء المسلمين الأعاجم، وأنها الأحق بالمعرفة، من أجل فهم الكتاب الكريم والسنة المطهرة، ونرى مسلكهم فى ذلك، واعتزازهم بالانتماء إلى هذه اللغة. إضافة إلى تحقق المعرفة لمدلولات الكلام، وكيفية الوصول للمعانى، ومدى استيعاب اللغة العربية لمواد الدراسات الإسلامية، وقصور غيرها. وبيان ذلك فى مطلبين:

الأول : منهج علماء المسلمين الأعاجم (غير العرب) فى المعارف الإسلامية المختلفة.

الثانى : المنهجية التطبيقية اللغوية.

المطلب الأول : منهج علماء المسلمين الأعاجم (غير العرب) فى المعارف الإسلامية المختلفة.

علمنا فيما سبق ضرورة اللغة العربية لأهل الشريعة، وتلازمها مع الدراسات الإسلامية، وقد علل الشافعى ذلك بقوله: وذلك أن اللسان الذى اختاره الله عز وجل لسان العرب، فأنزل به كتابه العزيز، وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم[50] وكان حملة هذه الشريعة، والكاتبون فيها فى العصور الأولى من العجم. قال ابن خلدون : من الغريب الواقع أن حملة العلم فى الملة الإسلامية، أكثرهم العجم[51] لكن كيف وصل أولئك لما وصلوا إليه؟

أولا : المنهج الذى أدى بهم إلى هذه النتيجة.

إنها جملة من الضوابط التى كانت فى خواطرهم، فشكلت لديهم منهجًا يوضح لهم طريق الوصول إلى المعارف الإسلامية المختلفة منها:

أ – علمهم بوجوب تعلم اللغة العربية، باعتبارها لغة القرآن الكريم، ولغة النبى صلى الله عليه وسلم ولغة السابقين لهم بإحسان.

ب– العمل بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[52] فعلموا أن خيار اللسان العربى هو خيار الله، وليس بعد ذلك من خيرة.

ج– متابعة الدين الحنيف بلوازمه العربية وغيرها[53] تطبيقًا لقوله تعالى:﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[54] فكان الاتباع مطلوبًا فى كل شئ، ومنها اللغة العربية.

د – النظر إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير)[55] وفى الأخذ باللسان العربى دلالة على القوة للوصول إلى المعارف الإسلامية المختلفة.

هـ – العصبية للغة العربية، والإفتخار بها، باعتبارها لغة يرتبط من خلالها العبد بالله عز وجل، وذلك ما عبر عنه الزمخشرى بقوله: (اللهَ أحمدُ أن جعلني من علماء العربية، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية.

وأبى لى أن أنفرد من صميم أنصارهم وأمتاز، وأنضويَ إلى لفيف الشعوبية وأنحاز[56].

والزمخشرى عالم من علماء العجم، حيث ولد فى زمخشر من قرى خوارزم، وكان إمامًا فى التفسير، والبلاغة، والأدب، والإعراب، والنحو والشعر، وكتبه كثيرة تدل على ذلك.[57]

و– معرفتهم أن الله يخاطبهم بقوله: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[58] فعلموا عدم إمكانية الاستجابة لهذا الخطاب الربانى إلا بمعرفة اللغة العربية معرفة دقيقة، حتى يتسنى لهم التدبر الذى هو الفهم العميق لخطاب الله. إلى غير ذلك من الضوابط التى كانت عاملاً مساعدًا، بل ودافعًا لأولئك للوصول إلى ما وصلوا إليه.

ثانيا : المعارف الإسلامية المختلفة التى خاضوا فيها.

تقرر لدينا آنفًا أن الأعاجم حملة العلم فى الملة الإسلامية، فما هى المعارف والعلوم التى خاضوا فيها؟

يقول ابن خلدون: فلما بَعُدَ النقلُ من لدن دولة الرشيد فما بعد، احتِيج إلى وضع التفاسير القرآنية، وتقييد الحديث مخافة ضياعه ثم .... وذكر ما جدت الحاجة إليه من العلوم والقوانين، وخلص إلى النتائج التالية : فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسى من بعده، والزجاج من بعدهما، وكلهم عجم فى أنسابهم، وإنما رُبّوا فى اللسان العربى، فاكتسبوه بالمربى، ومخالطة العرب، وصيروه قوانين وفنا لمن بعدهم. وكذلك حملة الحديث الذين حفظوه عن أهل الإسلام أكثرهم عجم، أو مستعجمون

باللغة والمربي، وكان علماء أصول الفقه عجمًا، كما يعرف، وكذا حملة علم الكلام، وكذا أكثر المفسرين، ولم يقم بالعلم وتدوينه إلا الأعاجم. وقال : وأما العلوم العقلية، فلم تظهر فى الملّة إلا بعد أن تميز حملة العلم، ومؤلفوه، واستقر العلم كله صناعة فاختصت بالعجم، وتركها العرب.[59]

ولم يقتصر الأمر على ما ذكره ابن خلدون فقد خاض علماء العجم فى علوم أخرى كالفقه مثلاً وعلوم اللغة الأخرى من بيان، وأدب وفقه لغة وغير ذلك مما يعلم من خلال تراجم العلماء يضيق المقام عن الاسترسال معها.

ثالثا : نماذج من علماء العجم.

يقول الثعالبى : من أحب الله تعالى أحب رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم ومن أحب الرسول العربى، أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التى نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها.[60]

كلمة تشعر بالإرتباط بالله، والحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والعمل على فهم كتاب الله وهذا ما كان عليه العلماء المسلمون عجمًا وغير عجم، والثعالبى من علماء العربية الأعاجم، يخاطب بهذا الكلام بنى جنسه، ويحثهم على الارتباط بالله ورسوله وكتابه، من خلال هذه اللغة العظيمة. وإليك نماذج محددة من العلماء الأعاجم، بيانًا لبعض ما قدموه خدمة لهذا الدين باللغة التى جاء بها.

1- **سيبويه** : عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثى بالولاء، أبو بشر، إمام النحاة وأول من بسط علم النحو، ولد فى إحدى قرى شيراز من بلاد فارس، صنف كتابه المسمى (كتاب سيبويه) فى النحو، توفى عام 180هـ عن اثنين وثلاثين عامًا.[61]

2- **الجرجانى** : عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد أبو بكر، واضع أصول البلاغة من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان)، له مصنفات كثيرة، عد منها صاحب

الأعلام تسع مصنفات، كلها فى البلاغة والنحو واعجاز القرآن، توفى عام 471هـ.[62]

3- **السرخسى** : محمد بن أحمد بن سهل أبوبكر ، شمس الأئمة، قاض من كبارا الحنفية، مجتهد من أهل سرخس فى (خراسان)، له كتب متعددة، أشهرها كتابه المبسوط فى الفقه والتشريع ثلاثون جزءًا، أملاه وهو سجين فى الجب فى أوزجند بفرغانة. وسبب سجنه كلمة نصح بها خاقانة. توفى عام 483هـ.[63]

4- **الغزالى** : محمد بن محمد الطوسى، أبو حامد، حجة الإسلام، ولد وتوفى فى الطابران، قصبة طوس بخراسان، له مصنفات كثيرة جدا، تجاوزت مئتي مصنف، فى شتى أنواع العلوم، توفى عام 505هـ عن خمس وخمسين عامًا.[64]

5- **فخر الدين الرازى**، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين أبوعبدالله، الإمام المفسر أوحد زمانه فى المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، ولد فى الرى، من بلاد ما وراء النهر، وتوفى فى هراة، وإن كان قرشى النسب، كان يحسن الفارسية، له مصنفات كثيرة عدَّ منها صاحب الأعلام أربعة وثلاثين كتابًا، وله شعر بالعربية والفارسية، وكان واعظا بارعًا باللغتين.[65]

6- **عضد الدين الإيجى**، عبد الرحمن بن أحمد بن عبدالغفار، أبوالفضل، عالم بالأصول والمعانى والعربية، من أهل إيج بفارس، ولى القضاء، وأنجب تلاميذ عظامًا. له مصنفات عدة فى علم الكلام والوضع، والأصول والعربية، ذكر منها صاحب الأعلام تسعًا، مات مسجونا بقلعة كرمان عام ستة وخمسين وسبعمائة.[66]

7- **السعد التفتازانى**، مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازانى سعد الدين، من أئمة العربية والبيان والمنطق، والكلام وغيرها، ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) من تلاميذ العضد الإيجى، لم تذكر التراجم أنه دخل العالم العربى فى يوم من الأيام، وهو قمة علماء العربية حتى إنه ألف كتابه شرح التصريف العزي فى الصرف وعمره ست عشرة سنة، توفى عام793هـ.[67]

وخلاصة الرأى حول هذه النماذج من العلماء أن الله القائل ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [68] يرينا أنه قادر على حفظه، بأية وسيلة، ولا تعجزه الوسائل، فهيأ له رجالاً لغتهم غير لغة القرآن، ينهجون نهج العلماء الأبرار، تدبرًا لآيات الله، ومعرفة لدقائقها وأسرارها،وتحديدًا لقوانين ألفاظها، شكلاً ومضمونًا،بيانًا واعجازًا. وبحفظ القرآن الكريم حُفظت اللغة، إذ ثبوت الملزوم يعني ثبوت اللازم، والعربية لازم من لوازم حفظ القرآن الكريم، كما أنه يعطينا إشارة إلى أنه كما قدر أولاً على ذلك، فإن قدرته لا تعجز عن إعادة التاريخ نفسه من أبناء الأعاجم، إذا وجدت لديهم النية الطيبة، والعزيمة الصادقة، فالأرحام هى الأرحام، والرجال هم الرجال، ولا يختلف إلا النوايا والعزائم، فإذا عزمت فتوكل على الله، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله). [69]

المطلب الثانى : المنهجية التطبيقية اللغوية.

ويتضمن هذا المطلب الأمور التالية:

أولها : الألفاظ قوالب المعانى.

علمنا أن اللغة العربية قد وسعت القرآن الكريم، بأساليبها البليغة، وما تدل عليه ألفاظها، مفردة، ومركبة، إذ الألفاظ قوالب المعانى.

وباستقراء الأساليب العربية، بعباراتها ومفرداتها، تقررت قواعد وضوابط لغوية، الهدف منها التوصل إلى فهم المعانى والأحكام، من الألفاظ، فهمًا صحيحًا، وهى كما يقول الغزالى عمدة علم الأصول. [70]

فالشريعة عامة فى مضامينها، والعموم فى الغالب يقتضى تخصيصا، كما أن الاطلاق يقتضى تقييدًا، والقواعد تقتضى استثناءً، ولربما تكون الأمور المستثناة مبهمة غير واضحة، فهى تحتاج إلى إيضاح وبيان، كما أن النصوص قد يعلم المراد من عبارتها

ولفظها، وقد يعلم من إشارتها، أو من مفهومها ودلالتها، وقد تحتاج إلى مقدر، ليتضح غرض المتكلم ويظهر صدقه.

وقد يكون النص محتملا أكثر من معنى، احتمالاً على سبيل التساوى أو الرجحان، كما قد يخفى خفاءً يسهل بيانه،أو يحتاج إلى جهد أكبر لبيان المراد. إلى غير ذلك من القواعد المتكاثرة، التى تعتبر جانبًا من الجوانب المضيئة، لاستشفاف اللغة واستخراج مكنوناتها، بحيث تصلح أن تكون استراتيجية فهم للعلوم المختلفة، سواءً علم الشريعة أم غيرها.

ولا نستطيع الخوض فى هذا البحر المتلاطم، بل نكتفى بإشارات تشير إليه عن بعد، لتكون أنموذجًا يدل على سعة اللغة العربية، سعة تفوق غيرها من اللغات، مما يستدعى معرفتها لكل مسلم يحب دينه، ويسعى لفهمه على الحقيقة. أو على الأقل يتعمق فيها من ينصب نفسه معلمًا للناس الخير.

الثانى : نماذج تطبيقية تبين سعة اللغة العربية.

أ – الاشتراك فى اللغة العربية أمر واقع ومقرر.

الاشتراك هو ما وضع لمعنيين فأكثر بأوضاع متعددة[71] بمعنى تزاحم المعانى المتعددة فى اللفظ الواحد، بحيث يفهم المعنى وضده من الكلمة الواحدة. وهو ما يسمى عند أهل اللغة بأسماء الأضداد.

كلفظ (قضى) فهو مشترك بين عدة معانٍ.

فيأتى بمعنى (أمر) كقوله تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾[72]

كما يأتى بمعنى (أعلم)كقوله تعالى ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[73]

ويأتى بمعنى (حتم) كقوله تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[74] أى أبرم وحتم.

فهل تستطيع أية لغة التعبير عن معانى متعددة متضادة بلفظ واحد؟ إنها اللغة العربية وحدها دون غيرها، مما يدل على سعتها، وقدرتها على استيعاب العلوم، أكثر من غيرها.

ب – إشارة النص معين لا ينضب.

إشارة النص هى دلالة الكلام على معنى، غير مقصود للمتكلم لكنه لازم له.[75] وذلك يعنى استشفاف المعانى من بين السطور، وما وراء الألفاظ، كنتائج لتلك الألفاظ، وإن لم يقصدها المتكلم. مثاله قوله تعالى ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[76] حيث دل اللفظ بعبارته على إباحة وقاع الزوجة فى كل أجزاء الليل، إلى طلوع الفجر، وفهم منه بطريق الإشارة، أن من أصبح جنبًا فصيامه صحيح، لأن إباحة الوقاع إلى طلوع الفجر يستلزم أن يطلع عليه الفجر وهو جنب، وهذا المعنى غير مقصود بالسياق، ولكنه لازم ونتيجة له.

مثال آخر : قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾[77]

هذه الآية الكريمة تتضمن إشارات واضحة، ودلالات إيحائية بليغة، نحاول توضيحها بإيجاز، وإن كان الأمر يحتاج إلى كثير من الشرح والتوضيح. فالعبارة تفيد أن الهمَّ والميل قد حصل من الطرفين، من امرأة العزيز، ومن يوسف عليه السلام، إلا أن الله عز وجل أراه برهانه، فصرف عنه السوء باعتباره من المخلَصين، ولكن هذا النص يتضمن عددًا من الإشارات التى توضح براءة يوسف عليه السلام، مثبتة أنه لم يحصل منه الهمُّ والميل إلى فعل السوء.[78]

أولها : إن الهمَّ من امرأة العزيز لم يحصل له ما ينفيه، بل هو أمر متحقق، لكن الهمَّ من يوسف عليه السلام حصل له ما يمنعه، دلالة على أنه لم يحصل، فوجود لولا

- التى تعنى باللغة حرف امتناع لوجود - يفيد امتناع الهمِّ والميل من يوسف عليه السلام، لوجود برهان ربه، بدليل قوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء.

الثانية: قوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ يتضمن إشارة إلى أن السوء هو الذى يلاحق يوسف عليه السلام، ولم يكن يوسف هو الذى يبحث عن السوء أو يفكر فيه، مما يعنى براءته عليه السلام من كل ميل إلى فعل السوء.[79]

الثالثة : قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ يتضمن إشارة إلى براءة يوسف عليه السلام، فكلمة (ٱلْمُخْلَصِينَ) بفتح اللام، تعنى أن يوسف عليه السلام قد خلُص من حظ النفس، والشهوة وكل ما ليس لله تعالى، فكانت حياته كلها، وفكره كله، وهمه كله لله وبالله، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[80] فما دام يوسف عليه السلام قد خلُص لله، فكيف يمكن أن ينصرف لما ليس لله؟ إنه أمر مرفوض، فكان حقا كامل البراءة من كل سوء.

وكلمة (ٱلْمُخْلَصِينَ) هذه فيها إشارة واضحة إلى أن يوسف عليه السلام قد أعجز الشيطان من أن يغويه، برغم أنواع الإغراءات المتوفرة، إذ جاءت هذه الكلمة ولم تأت كلمة غيرها، كالمؤمنين أو المتقين أو المحسنين أوالمخبتين، أو القانتين، أو غير ذلك من الألفاظ التى تحمل فى طياتها قربه من الله - لتؤدي معنى ، ولتثبت اعجازًا للقرآن الكريم، ولتدلل على أن المخلَص هو وحده الذى لا يتعرض للإغواء - بخلاف غيره، ممن ذكرنا، فقد يتعرض للإغواء والإغراء - بدليل قول الله تعالى على لسان إبليس - لعنه الله - ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[81] فيوسف عليه السلام من هؤلاء المخلَصين، لذا كانت براءته قاطعة.[82]

فكانت هذه الآية بظلالها الوارفة، تؤدى معانى ودلالات قاطعة على ما تختص به اللغة العربية، من اتساع لا تستطيعه لغة أخرى، مما يوحى بعظمة هذه اللغة، وأنها وحدها الكفيلة بإعطاء الدراسات الإسلامية حقها، من الوضوح المعرفى، والبيان

الواضح، والسعة الشمولية، التى أوضحها ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم وصفًا للقرآن الكريم (لا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه)[83]

ج- اللغة العربية تعطى معانى للمسكوت كما تعطى المنطوق.

المتفق عليه بين علماء الأصول فى موضوع مفهوم الموافقة أو دلالة النص، أن المسكوت عنه، يعطى حكم المنطوق بمجرد فهم اللغة، وذلك على أنحاء ثلاثة هى :

1- التنبيه بالأعلى على الأدنى، كقوله تعالى ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[84] فمن كان أهلاً لأداء القنطار، فهو على أداء ما كان أقل من قنطار أحرص ..... فنبه بالأكثر على الأقل.

2- التنبيه بالأدنى على الأعلى، كقوله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾[85] فما دام لا يؤدي الدينار فلأن لا يؤدي ما هوأكثر أولى، فنبه بالأقل على الأكثر.

3- التنبيه بالمساوى على ما يساويه، كقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[86] فإحراق أموال اليتامى وإغراقها يساوى أكلها ظلمًا، فمن كان يتلفها بالأكل فلا يتورع عن إتلافها بالإحراق.

وهذا إن دلّ على شئ، فإنما يدل على بلاغة هذه اللغة، حيث تعطي معانيَ جمة لألفاظ قليلة، ومعلوم أن البلاغة الإيجاز. كما تُنبِّهُ بالمنطوق على غيره، وتعطيه حكمه، حيث يدل ذلك على اتساع هذه اللغة لاستيعاب أحكام الحياة كلها، مما لا يتيسر لأية لغة أخرى أن تجمع ذلك، ولا أن تساهم فى إثراء الدراسات الإسلامية، بل تضيق مداها، وتقلل من شأنها.

الخاتمة.

وأخيرا .. يأمل الباحث في ختام هذا البحث أن تساهم هذه الدراسة في إلقاء بعض الضوء على أهمية تدريس العلوم الإسلامية باللغة العربية دون سواها. ندعو الله أن يمدنا بالعون والتوفيق وأن يجعل هذا الجهد المتواضع خالصا لوجهه الكريم، وصلى الله على سيدنا ورسولنا وحبيبنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

1. الزمر : 28.
2. ص : 29.
3. ابن كثير، فضائل القرآن، ط، دار الأندلس، ص 10-11، قال ابن كثير، وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين على رضى الله عنه، ثم قال: وهو كلام حسن صحيح.
4. الشعراء : 192-195.
5. خالد عبد الرحمن العَك، اصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت، ص82.
6. ابن تيمية، مقدمة فى أصول التفسير، تحقيق محمود محمد نصار، مكتبة التراث الإسلامى، ص 43.
7. عبد الله تهمين، أهمية اللغة العربية فى الدراسات الإسلامية، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة اللغة العربية، بالأكاديمية الإسلامية، بجامعة ملايا فى نوفمبر 1986. وقد نشرت الورقة فى مجلة الدراسات االعربية، كوالا لمبور، عدد 2، عام 1991م انظر ص43 من المجلة المذكورة.
8. يوسف : 2.
9. الرعد : 37.
10. النحل : 103.
11. طه : 113.
12. الشعراء : 193-195.
13. فصلت : 3.
14. الزمر : 28.

15. الزخرف : 3.
16. د/صبحى الصالح، معالم الشريعة الإسلامية، دار العلم للملايين، ص86-87.
17. الرازى، التفسير الكبير، ج1، ص217 ط دار الفكر.
18. د/الصالح، معالم الشريعة، ص87.
19. الزركشى، البرهان فى علوم القرآن، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج2 ص165.
20. خالد العك، أصول التفسير وقواعده ، دار النفائس، ص 83.
21. محمود محمد نصار، مقدمة تحقيق مقدمه فى أصول التفسير، ص19
22. خالد العك، أصول التفسير وقواعده، ص80.
23. الشاطبي ابو اسحق، الموافقات تعليق الأستاذ السيد محمد الخضر حسين التولس ط دار الفكر، ص42.
24. عبدالله تمين، أهمية اللغة العربية للدراسات الإسلامية/مجلة الدراسات العربية ص59.
25. ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ط دار الفكر، ص206.
26. نفسه.
27. سبأ : 28.
28. الحجرات : 13.
29. الزمر : 28.
30. د/الصالح، معالم الشريعة الإسلامية، مرجع سابق ص90.
31. نفسه ص85، نقلا عنالدكتورة بنت الشاطئ.
32. د/عارف أبو خضيرى،أهمية اللغة العربية للأمة الإسلامية، انظر مجلة الدراسات العربية المعهد العالى للدراسات الإسلامية برونای دار السلام ج2، عدد2، 1991م ص43.
33. ص29، ص290.
34. د/عارف ابو خضيرى، مجلة الدراسات العربية مرجع سابق ص49.
35. ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ص162.
36. القمر : 17.
37. ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ص162.
38. متفق عليه.
39. انظر هامش رقم3.
40. انظر هامش رقم 3.

41. النحل : 44.
42. الحشر :7. وانظر الشنقيطي، أضواء البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، جذ، ص6.
43. الشاطبي، الموافقات، ج3، ص200.
44. ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ص203، 206.
45. نفسه ص207.
46. نفسه ص162، انظر هامش رقم37.
47. الشاطبي، الموافقات، ج2، ص 37.
48. ابن خلدون، المقدمة، ط دار الفكر ص 545.
49. الزركشي، البرهان، تحقيق، محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية/صيدا، بيروت، ج2، ص165.
50. ابن تيمية، إقتضاء الصراط المستقيم، ص204.
51. ابن خلدون، المقدمة، ص 543.
52. الأحزاب : 36.
53. ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ص162.
54. آل عمران : 31.
55. رواه مسلم في القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز .... حديث رقم 2664 الكتب الستة وشرحها، دار الدعوة، ج6، ص2052.
56. الدكتور، صبحي الصالح، معالم الشريعة، ص110، نقلا عن مقدمة كتاب المفصل للزمخشري.
57. الزركلي، الأعلام، ط دار العلم للملايين، ج7، ص178.
58. ص : 29.
59. ابن خلدون، المقدمة، ص543-545.
60. الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد، فقه اللغة وسر العربية، ط دار الحكمة للطباعة والنشر، دمشق، ص9.
61. الزركلي، الأعلام ج5 ص81.
62. نفسه، ج4، ص48.
63. نفسه ج5، ص315.
64. نفسه ج7، ص22.
65. نفسه، ج6، ص313.

66. نفسه، ج3، ص295.
67. نفسه، ج7، ص219.
68. الحجر، 9.
69. كنز العمال حديث رقم 28918، قال الخطيب: سئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث، وقيل له: كأنه كلام موضوع قال: لا، هو صحيح، سمعته من غير واحد.
70. الغزالى، المستضفى، المكتبة العلمية، بيروت، ط2، ج1، ص315.
71. د/وهبة الزحيلى، أصول الفقه الإسلامى، دار الفكر، ج1، ص283.
72. الإسراء : 23.
73. الاسراء : 4.
74. الزمر : 42.
75. د/الزحيلى، أصول الفقه الإسلامى، ج2، ص350.
76. البقرة : 187.
77. يوسف : 24.
78. الرازى، التفسير، دار الفكر، ج18، ص118.
79. د/ابراهيم سعد محمود قنديل، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها واجب دينى. ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الدولى فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، 23- 26 نوفمبر، جامعة برونای دار السلام، سجل المؤتمر، ص64
80. الأنعام : 162.
81. الحجر : 39-40. ص : 82-83.
82. هامش رقم 79.
83. هامش رقم 3.
84. آل عمران : 75.
85. آل عمران : 75.
86. النساء : 10.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن تيمية، أحمد عبد الحليم،اقتضاء الصراط المستقيم، ط، دار الفكر.مقدمة فى أصول التفسير، تحقيق محمود محمد نصار، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
2. ابن خلدون مقدمة ابن خلدون، ط، دار الفكر.
3. ابن كثير، اسماعيل أبو الفداء،فضائل القرآن، ط دار الأندلس.
4. أبو خضيري، عارف كرخي،أهمية اللغة العربية للأمة الإسلامية. مجلة الدراسات العربية، ج2، عدد2، 1991 المعهد العالى للدراسات الإسلامية، برونای دار السلام.
5. البخارى، محمد بن اسماعيل،الجامع الصحيح، ط دار احياء التراث العربي/القاهرة.
6. تهمين، عبد الله،أهمية اللغة العربية فى الدراسات الإسلامية. ورقة عمل مقدمة لندوة اللغة العربية، بالأكاديمية الإسلامية بجامعة ملايا في نوفمبر 1982. وقد نشرت الورقة في مجلة الدراسات العربية/كولا لمبور عدد 2، عام 1991م.
7. الثعالبي، عبد الملك بن محمد ابومنصور، فقه اللغة، وسر العربية، ط دار الحكمة للنشر/دمشق.
8. الرازى، فخرالدين بن الخطيب،التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت.
9. الزحيلى/وهبة،أصول الفقه الإسلامي،ط دار الفكر.
10. الزركشى، محمد بن عبدالله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن،المكتبة العصرية، صيدا بيروت.
11. الزركلى، خير الدين،الاعلام، ط دار العلم للملايين، بيروت.
12. الشاطبي، ابراهيم أبو اسحق،الموافقات فى أصول الشريعة، طدار الفكر.
13. الشنقيطي، محمد الأمين،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الكتب العلمية بيروت.
14. الصالح، د. صبحي،معالم الشريعة الإسلامية، دار العلم للملايين.
15. العك، خالد عبدالرحمن،أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت.
16. الغزالى، أبو حامد حجة الإسلام، المستصفى من علم الأصول، ط2 المكتبة العلمية، بيروت.
17. قنديل، د/ابراهيم سعد محمود، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها واجب دينى. ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الدولى في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها 23-26 نوفمبر، جامعة برونای دار السلام.
18. مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج،الجامع الصحيح، دار سحنون، دار الدعوة.

19. نصار، محمود محمد،مقدمة تحقيق، مقدمة في أصول التفسير، مكتبة احياء التراث الإسلامي- القاهرة.

20. الهندى، علاء الدين البرهان فورى، كنز العمال في سنن الأقوال واللأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت.